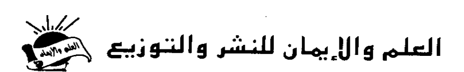
ليلتى الحالمة

تأليف

عطيات الطوخى



الناشر: العلم والإيمان للنشر والتوزيع
ميدان المحطة - ش الشركات - دسوق - كفر الشيخ
ت: ٠٤٧/٥٦٠٢٨١
رقم الإيداع: ١٣٤٢٦ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى: ISBN 977 - 308 - 026 - 9
جمع وإخراج: وحدة كمبيو جرافيك على عطوان & عبد المقصود جعفر
بمكتبة العلم والإيمان للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

في عالم المادة الذاتي والصراعات الخالية
من المعاني الإنسانية والمشاعر الرقيقة
قد نلجأ إلى عالم آخر أكثر رحابة وحب ورقة
... عالم يتيح لنا الوصال مع أنفسنا
قبل أن نفقد جزءاً منه هويتنا .. عالم
اللاواقع عالم الخيال الذي نسبح فيه
ونخلع عقول وقلوب مازال بها ينبض
إنسان الحياة الشفاف حتى إذا ما عادت
للواقع ... كان لديها القدرة على تحمل
معاناته !!

[illegible]



«ليلتي الحالمة»

❑ إنهـا حـالمة ... رومـانسـيـة ...
تفسد خيالاتها حاضرها وأحياناً يفسد عليها الضغط اليومى هذه الخيالات ، إنها تعيش ليومها تفـرح بلقـاء ... تضـحك ... تجـرى .. تقـول مـا بداخلها ...
كلمة المستقبل تعنى لها اللون الرمادى .. أحياناً الأسود ، فقد طغى عليه السواد بعد أن كان فى يوم مـا وردياً ... عندمـا تيـأس من الحـاضـر تصارع خيالاتها ...
أيامـهـا الأولى وردية أمـا الحـاضـر فـتـخـيم عليـه سياج مـن الأسـلاك الشـائكة فلا يشغلـها سـوى

مشاكل الناس التى تهون عليها مشكلتها.
إن عملها الآن هو مشاكل الناس تقابلهم وتسمع منهم وتنصحهم ، أصابها الجمود العاطفى من تكرار سماع هذه المشاكل ولكن هذا الجمود لم يؤثر مباشرة فى مشاعرها الرومانسية الحالمة .
تواعدا عبر الهاتف أمس أن يلتقيا ليحتفلا بمناسبة .!؟ إنها مناسبة لقائهما الأول فى تلك الكافتيريا واعترافه لها بحبه الكبير وتمسكه بها وهاهو قد تذكر اليوم والموعد فما بالها مكتئبة محبطة !! وانتظرته قرابة الساعة لم يحضر وهو الذى عودها دائماً على وجوده قبلها بدقائق وحرصه الشديد على التحدث معها واقتناص الوقت ليخططا معاً لمستقبلهما القادم وحبهما الكبير .....!!

ترى هل أصبح مستهتراً فى عواطفه معها !!
أم فترت عاطفته ناحيتها ؟ أم ماذا؟ أسئلة كثيرة دارت فى عقلها وسمعها قلبها ولم يجب عنها !! وجلست بجواره بعد أن حضر وحاول الاعتزار عن أسباب خارجة عن إرادته منعته من الاتصال أو الحضور فى موعده .
ـ جلست بجواره محبطة ... صراعات الماضى تطاردها .. تحاول جاهدة أن تكون فى الحاضر لكن الحاضر يخذلها .
هى من خذلت نفسها برومانسيتها وأحلام يقظتها الكثيرة المتلاحقة .
راحت فى ثبات للحظات .. فتوقف بسيارته أمام الشاطئ وهزها ليتحدثا معاً ، قالت :

حلمت بك وأنت بجانبى ... أراك ملاكاً يمد لى يده ليذهب بى بعيداً بعيداً إلى ما لا نهاية ... ربما للجنة الموعودة أو لنعود للحياة مرة أخرى كروحين طائرين محلقين فى قلب عصفورين يعشق كل منهما الآخر ...

ثم أفاقت مذعورة على صوت ابنتها وهى تطلب منها فى ضيق أن تُعد لها العشاء حتى تستطيع أن تواصل مذاكرة دروسها ، وابنها يصرخ فى صالة المنزل من فرط فرحته بهذا الهدف الذى أحرزه فريق الكرة الذى يشجعه فى مباراة بالتليفزيون وهاتين الطفلتين التوأم تشد كل منهما شعر الأخرى وتصرخ بسبب ورقة بيضاء كل منهما تقول هى ورقتى أنا وليست ورقتك .

نهضت مذعورة واقفة مرة واحدة أمام سريرها
ووجدت نفسها على أرض الواقع الذى يزعجها
وتهرب منه بالنوم أحياناً كثيرة ، وتوجهت
للمطبخ لتعد العشاء وهى تحدث نفسها
« خير يا رب ، اللهم اجعله خيرا ، لماذا جئت
فى هذا الوقت يا ابنتى ، كان نفسى أعيش
باقى الحلم الجميل !! » .




« اجتياز المحنة »

❑ مادت بها الأرض .... فقدت توازنها .... إنها امرأة أحبت زوجها لدرجة الجنون ... أحبت بيته وأولاده .. وتطلعاته وطموحه ومستقبله .. وها هى الآن تأخذ الطعنة القاتلة باعترافه لها بأنه يحب امرأة أخرى ، وأن حياتها معه طوال تلك السنوات لم تكن سوى تعود وألفة واحتياج أسرى .... حاولت جاهدة أن تتماسك لتقوى على رد هذه الصفعة التى وجهها لها زوجها باعترافه لها بحب الأخرى ولتتمكن من جمع أفكارها وترتيبها وتحدد معه مصيرها ....

وها هى وقفت وهى ساهمة قائلة له :

أوافقك على كل ما تقول ... فهو إحساسك أنت وكلامك أنت .... أما أنا فليس لى مطلب سوى أن تسمح لى « بالانسحاب من حياتك حينما أقرر ذلك وحتى ينتهى أولادى من امتحاناتهم حتى لا يثيرهم أى شك فى علاقتنا الأسرية لتسير المركب بهم هذا العام بسلام » .

وعاودت القول بانكسار تام :

عاهدنى مرة أخرى على تحقيق هذا المطلب حينما أقرره !!

رد عليها : أعاهدك فعلاً وهو حقك طالما أننى لا أحبك فعلاً مثلها أو أنك تخيرينى بينك وبينها فأنا لاأستطيع أن أتخلى عنها أو أبتعد فهى بالنسبة لى شعلة تضئ لى مستقبلى وتشعرنى بوجودى وتعوض كل ما ينقصنى .

رمقته بنظرة طويلة فاحصة ومحدثة نفسها أحقاً هو هذا الشخص الذى أمامى ...؟

أهو من تفانيت فى إسعاده والحفاظ عليه وعلى أولاده وتمسكت به طوال هذه السنوات وأنا أحمل له كل هذه المشاعر ؟، ولفت نظرها اهتمامه الزائد بنفسه وأناقته فلطالما طلبت منه أن يرتدى هذه الملابس ذات الألوان الفاتحة وكان دائماً يرفض قائلاً : هذه ليست مناسبة لمكانتى كأستاذ فى الجامعة ولا تناسب سنى ... فماذا حدث له فجأة ؟ ... نعم إنها الأخرى وبحثت بعد ذلك بهدوء شديد وعلمت أنها تلميذته المتفوقة التى تعرف الوصول لهدفها لتحصل على ما تريد ثم تمضى لحال سبيلها فهو نظام اتبعته قبل ذلك ولكنه يصم أذنيه عن ذلك .

ومرت الأيام وهدأت نفسها وقالت :

إنه لا شك سيندم فى وقت قريب

لكننى سأرد له الصفعة بأقوى منها وأتركه فعلاً نادماً على كل شىء !!

ومر العام الدراسى بسلام وتفوق أولادها وكانت خلال هذه المدة تلاحظ أحوال زوجها وتليفوناته الهامة وكأنه مراهق شاب يعيش حياة ضاعت منه .

وكانت تكظم غيظها محاولة الهدوء حتى تمر هذه المحنة كما تريد لها هى !!

وقبل أن تعاود طلبها للطلاق الذى هيأت نفسها له عاد إليها نادماً حزيناً منكسراً لا يقوى حتى على البكاء ... معترفاً بأن الأخرى التى ظنها الحب الحقيقى والحياة الواعدة قد اعتذرت له عن تكملة المشوار معه بعد أن نجحت وتفوقت وتم تعيينها بالجامعة بفضل مساعدته لها كثيراً حتى تخطت كل العقبات وحققت هدفها فما كان منها إلا أن اعتذرت له

بأنها اكتشفت أن حبها له حب الطالبة لأستاذها وأنه مثلها الأعلى وكانت الكلمات تقف فى حلقه محاولاً إخراجها من فمه محاولاً تبسيط معانيها الحادة التى ذبحته فى شبابه المزعوم وأفاقته على الحقيقة التى قالتها له زوجته بأن هذه العلاقة طارئة ونزوة مؤقتة لكنه كان يثور لهذاالهراء .

وبعد أن فرغ من كل هذه الاعترافات ربتت على ظهره بيدها قائلة له :

أتمنى لك حياة سعيدة مع أخرى جديدة ترى فيها ما لا تراه فى وأنا لا أطلب سوى ما طلبته منك سابقاً ووعدتنى به وهو الطلاق !!

وحزمت حقائبها وأصطحبت أولادها معها وأدارت له ظهرها وخرجت .

أمـا هو فسقط مـغـشـيـاً عليـه على أقـرب كـرسى وهـو يبكى وينتـحب ندمـاً ومـا إن رأتـه حـتى تركت الحقائب وتعاطفت معه من جديد واتجهت إليه وقالت له ولأولادها :

لن أهـدم هذا المنزل الذى بنيـتـه على الحب كله حـتى تشـفى نفسك من هذه العلة أيهـا الطفل الكبـيـر!!

« الشعر المنفوش »

❑ ظلت سميرة غير مقتنعة بداخلها بكلمات الحب التى يُسمعها لها، وهيامه المستمر وإعجابه الشديد بتسريحة شعرها وحسن اختيارها لألوان ملابسها التى تكاد تنطق رقة وإحساساً وكانت تنتظر موعده الجديد الذى طالما وعدها به ليقول لها شيئاً هاماً وجديداً .

لقد كان يعتبر أبناء ها كأبنائه، يحبهم ليرضيها إلا أنها بدأت تشعر لأول مرة أن إحساساً جديداً تسلل لقلبها وسيطر على كيانها، فقد أحست من خلال الدقائق التى تراه فيها أن علاقتها به خدعة كبرى وأنه لا يحاول رؤية الحقيقة فهى ليست مثالية

كما يرى فكل ما يبهره فيها مظهرها الأنيق وحلاوة حديثها ورقتها فى الكلام معه ومحاولة احتواء مشاكله كلما حدثها عنها، وقالت لنفسها وهى فى طريقها للموعد الجديد ... ماذا لو جاء ورآنى فى الصباح وأنا أستقيظ من نومى بدون ماكياج ولا أستطيع حتى فتح عينى أمام الضوء من شدة الإرهاق والكسل ؟ وماذا لو جاء وشم رائحة الأكل الذى دائماً ما يحترق نتيجة السرحان المستمر مع أداء الأعمال المنزليه ؟ وماذا لو سمع صوتى وأنا أصرخ فى وجه أولادى من شقاوتهم وكثرة مشاكلهم ؟ .

ماذا وماذا ألف ماذا وظلت تردد تلك الأسئلة لنفسها وهى فى طريقها لموعده الذى ينتظرها فيه على أحر من الجمر ليسمعها أحلى الكلام وأعذبه وكأنها المرأة الوحيدة فى العالم أمامه التى تعمل لكل شئ

حسابا وتفوق درجة الامتياز على نساء حواء جميعهن .... أخيراً وصلت إلى الموعد المحدد وهى تبتسم محاولة الإفاقة من تلك الأسئلة ومواجهة أرض الواقع.

وجلست أمامه بكل رقة، أما هو فكان مشدوداً إليها يدقق النظر فيها ثم بدأ يتحدث معها وينتقل من حديث لآخر وهى تسمع وتعلق بهدوء حتى تطرق للحديث عن نفسه وعن الظلم الواقع عليه من زوجته التى يراها دائماً متورمة الجفنين، وشعرها منفوش وشكا لها من صراخها مع الأولاد بشكل استفزازى وحرقها للطعام بسبب إهمالها، ثم يؤكد لها أن هناك فرقاً كبيراً بينها وبين زوجته كالفرق بين السماء والأرض.

وفى تلك اللحظه تذكرت نفسها بسرعة وما يحدث معها ولها ولا يراه هو ولا يريد أن يسمعه، وأفاقت من سرحانها على تكملة حديثه وهو يخبرها بأنه اشترى

لها ببغاء وعصافير ملونة لتذكرها به ونهضت واقفة قائلة له : كفى كفى أرجوك اسمعنى من فضلك بتركيز وواقعية ، فكف عن الحديث ودقق النظر إليها وهى منفعلة وعصبية فكأنه يراها لأول مرة وظل يستمع إليها وهو لا يقوى على الرد على بعض الكلمات التى قالتها له بحدة .

وأنهت كلماتها بقولها :

« أنا آسفة لن أتزوجك حتى لا ترى شعرى الأشعث كل صباح .... ! » .

«فلسفة التغيير»



❑ كان الأستاذ « سعد » دائم الشجار مع زوجته بسبب نوعية المأكولات التى تضعها أمامه .. فلم يكن يعجبه أى نوع من أنواع الطعام التى تصنعها .

وحارت فيما تقدمه له كى تسمع منه شكر أو ثناء، وباتت تسأل وتنقب مع جاراتها وصديقاتها عما يقدمونه لأزواجهن من أنواع المأكولات التى تملأ بطونهم وتسعد قلوبهم حتى أنها تبدو كمن تجمع معلومات لبحث أو رسالة دكتوراة عن أسباب السعادة والحب فى الحياة الزوجية وحار عقلها وقلبها فى استرضاء زوجها وحسبت أن طهيها الروتينى للأكل وراء كل ذلك النقد اللاذع دائماً لما تصنعه حتى

أنها لم تترك برنامج إذاعى عن المرأة أو فى التليفزيون إلا وسارعت بكتابة طريقة إعداد الطعام ولكن دون جدوى .

وحارت فى نفسها هل تنسى بعض التوابل ؟ أو أن المقادير تختل فى يدها ! أم أنه النفس كما تقول لها جارتها ؟ واهتزت الثقة فى نفسها حتى اليوم الذى تناول فيه زوجها الطعام بنهم واضح أمامها وبدلاً من أن يعلق بإعجاب على الأكل نهرها على طريقة تقديمها للطعام ونوعية الأطباق التى وضعته فيها.

وفى اليوم التالى قدمت الطعام فى أطباق من الصينى الفاخر ووضعت له الشوك والسكاكين والفوط وكأنها تدعو أحد الضيوف على الغذاء حتى يسعد زوجها بذلك كما يتمنى ... ثم قامت بوضع الطعام لطفليها فى أطباق من الميلامين على جانب السفرة

حفاظاً على الصينى من الكسر .

فبدت السفرة أمام زوجها وكأن الجالسين من طبقتين طبقة يليق بها الصينى وطبقة أخرى يليق بها الميلامين وبعد أن ركز نظره باندهاش واضح قام وقلب الطعام فوق بعضه معلناً حالة عصيان شديدة على الطعام وظل يردد ما هذا التخلف العقلى الشديد الذى تعيشه هذه الزوجة وخرج من المنزل دون تناول طعامه ...

وبعد أيام وهى هائمة مع نفسها تبحث عن نصائح جديدة بين ما يفيد ومالا يفيد، فكرت وقررت تنفيذ ما سمعته من جارتها هدى عن فلسفة التغيير فى حياة الأزواج بمعنى أن تفاجئه بتغيير نظام الحجرات وتغيير فى شكلها ومظهرها والاهتمام بالورد لعلها ترضيه، واختيار الورد الأصفر الدال على الغيرة لتستدر عطفه ، وبالفعل غيرت من نظام شقتها وملأت الصالة بالورد الأصفر الدال على الغيرة لتستدر عطفه

وشفقته، واهتمت بمظهرها وشعرها .
ولكن ما إن دخل زوجها الشقة وفوجئ بهذا التغيير حتى ثار على اللون الأصفر وقال أنه يثير الأعصاب ثم توجه إلى زوجته وفى البداية لم ينتبه إليها ثم فوجئ أيضاً بالتغيير الذى ظنت زوجته أنه سيسعده لكنها صدمت عندما وجدته ثائراً عليها.
ثم انفجر ضاحكاً فى حالة هستيرية عندما نظر إلى وجهها وظهرت على ملامحه علامات الاستهزاء بها والسخرية من منظرها، وما إن أفاق من نوبة الضحك الهستيرى حتى أمرها بجمع ملابسها والذهاب لمنزل أسرتها ... وما إن دخلت منزل والدها حتى قابلها الجميع وهى تبكى وتصرخ وقد أصابتهم الدهشه من شكلها الجديد فهل هى ابنتهم أم أن زوجها بدلها بأخرى .... ؟ .
ويا سلام على التغيير ... وفلسفته !!


« مشاعرى فى قبضتى »

❏ منذ أن رآها ... ملكت عليه مشاعره وأحاسيسه وأصبح همه كيف وأين يراها ؟ ...

يترقب حركاتها أثناء خروجها من عملها ، كأنه تفرغ لها تماماً رغم أن مشاغله كثيرة جداً إلا أنها أصبحت تشكل فى عقله وقلبه عالمه الخاص الحالم الذى لا يسمح بأن ينشغل عنه إلا لقضاء الأعمال اليومية اللازمة ، وهى أيضاً كانت تبادله نفس المشاعر وبقوة وهى التى أغلقت على قلبها باباً وكرست حياتها لتربية ابنها من زوجها السابق الذى جرح كرامتها وكبرياء ها منذ أكثر من خمسة عشر عاماً .. أضيفت لعمر ابنها الذى كان وقتها لا يتعدى الثالثة من عمره وهو الآن

بكلية مرموقه ، واستمرت لقاءاتهما أكثر من عام لكنها لا تتعدى الجلوس معاً لأقل من ساعة يتبادلان فيها أطراف الحديث الرقيق وكلمات الغزل التى تخرج منه رغماً عنه ، وكان يشعر أنها لسان قلبه وحاله ولطالما أقنعها بأن يتزوجا فهو حق من حقوقه الشرعية وحق لها أيضاً وأنه بذلك لم يظلم نفسه أو يظلم زوجته وأن حقوق أسرته لن تتأثر بهذه المشاعر الذى سيقويها الزواج الشرعى الذى حلله الله ... فتبادره بأنها تخشى أن يكون ذلك ظلماً لأسرته أو خيانة وهى أشياء تمقتها طوال عمرها ، ثم تسرح وتحزن ويخيم الصمت بينهما لحظات وفجأة تتباعد عنه فترات وفترات وتقاوم وتقاوم ويتلاقيان بعد إلحاح منه وإشفاق منها عليه وتسمع كلامه وإقناعه لها بحقها وكأنها مخدرة .

وفى يوم ذهب إليها وهو يظنها اقتنعت ووافقت على رأية .

ولم يدر أنها قررت الاختفاء من حياته بدون مبررات وفوجئ أنها نقلت من عملها ومن مسكنها وتعمدت أن يطول البعاد ... ويطول ... ونجحت .. واستعادت توازنها من جديد ولم يعد للذكرى سوى ركن خاص فى قلبها يمر بها كطيف جميل تستدعيه بخيالها كلما احتاجته ليدفعها بقوة نحو نفس الطريق الذى أرادته لنفسها ولحياتها ... فلم تفلت مشاعرها من قبضتها أبداً !!.

«حصاد العمر»



❑ كان سامى يشع طاقة وحيوية فى كل مكان يوجد فيه ، فهو برغم تدليله من أبويه اللذين أنجباه بعد عمر طويل وانتظار يقرب من خمسة عشر عاماً بعد الزواج إلا أنه لم يستغل أبداً هذه المكانة التى تعطيه حق التصرف كما يشاء وتلبية كل رغباته من أسرته بل على العكس تماماً كان دائم الثقة فى نفسه وفى أسرته وكم تمنى أن يكون له أخ أو أخت حتى يقل كل الحب الذى يُشعره به والداه ، وكان ينظر لهذا الحب على أنه زائد عن الحد المطلوب حتى متابعتهما لحركاته وسكناته كانت تسبب له الازعاج وكثيراً ما طلب سامى من والدته التقليل من هذا الحب والاهتمام ، فكانت أمه

تحتضنه وهى تدمع من فرط حبها له قائلة : يا سامى أنت رحلة عمر طويلة وقرة عينى وعين أبيك وعمرى الذى مضى وعمرى المقبل .

ودارت حركة الحياة على نفس المنوال بالنسبة لأم سامى وأبيه ، ثم قرر الأب أن يسافر إعارة لإحدى الدول العربية وأقنع زوجته بتركهما فترة الدراسة على أن يعود كل إجازة حتى يتمكن من توفير كل إمكانيات المستقبل بالنسبة لسامى الذى سيكون طبيباً بعد شهور ، ولابد من شراء سيارة لائقة وشقة ليتزوج فيها فور تخرجه من إحدى بنات الأسر المرموقة حتى يفرحان به وينجب لهما أحفاداً يسعدان بهم ...

بدا سامى بين أصدقائه وزملائه طبيعياً متواضعاً يملك من صفات الرجولة فى المواقف ما يحسده عليها الآخرون والبعض يتعجب من قوة شخصيته وأدبه برغم ظروف تدليله المعروفة للكل ... حتى كان عيد ميلاده

الثالث والعشرين وهو فى السنة الأخيرة لكلية الطب وكانت مفاجأة له أن تم تجهيز عيد ميلاده بطريقة مبالغ فيها ووجد معظم زملائه مدعوين سراً من قبل والدته التى أرادت أن تكون مفاجأة سارة له ، وامتلأ المنزل بالأنوار وامتلأت المائدة بالجاتوهات وكافة أنواع اللحوم والحلوى وكأنه عُرس كبير لدرجة سببت له الذهول ولم يملك إلا أن يشكر والدته وقبلها من جبينها ومن يديها ودعا زملائه لإطفاء الشمع معه وبعدها أمطرته والدته ووالده بوابل من القبلات والحب وقدم له والده مفتاحين أحدهما لشقة المستقبل والآخر للسيارة الموجودة أسفل المنزل حتى يتخرج ويخطب ويقام له العرس الحقيقى .... ابتسم سامى ابتسامة عريضة ودعا الله أن يطيل عمر والديه ليفرحا به كما يتمنيان وطلب منهما أن يحمدا الله على النعم والنقم ولم يعرف

سامى سبب هذا الطلب الذى طلبه من والديه ، فردت عليه أمه : إن شاء الله ستكون الأيام كلها نعم وأفراح

ثم سافر سامى بعد عدة أيام مع زملاء الكلية لرحلة ترفيهية للقاهرة وعند عودتهم وأثناء لهوهم بالغناء والرقص داخل الأتوبيس لم يدرالجميع إلا وقد داهمتهم مقطورة لسيارة نقل أتت فى الاتجاه الخاطىء ... ونجا سامى بأعجوبة من الحادث المروع ومعه تسعة من زملاء الرحلة لدرجة أنه نسى نفسه وظل يضمد جراح أصدقائه لحين وصول سيارة الإسعاف وتم نقل الجميع للمستشفى وأثناء تواجد سامى بجوار زملائه شعر بصداع رهيب وزغللة حتى كاد يغمى عليه من الألم وبسرعة أدخله الأطباء لعمل أشعة مقطعية وبعدها راح سامى فى غيبوبة تامة وتبين وجود نزيف داخلى لم يتبينه وقت الحادث .....

واجتمع الكل حول السرير الأبيض وهم يقرأون القرآن ويبكون وكانوا قد اجتمعوا منذ أيام فى حفل عيد ميلاده وأطفأت فيه آخر شمعة ثم أفاق سامى من الغيبوبة لدقائق رأى خلالها والديه فودعهما ودعا لهما بالصبر وابتسم ابتسامة الحبيب المسافر وراح حصاد العمر ... !!



«يوم في حياتي»

□ فى ليلة من ليــالى الشــتــاء وبالتحديد فى شهر يناير ومع بداية الألفية الثالثة شـعرت بدفء عجيب يسـرى فى أعـضـائى برغم برودة الجـو غيـر العـادية وكـأن هناك جـهـازاً أو مدفأة تبعث حرارتها فى قلبى ليشع فى جسدى فــلا أحـتــاج لملابس ثقـيلة أو اللجـوء للدفــاية الكهربائية اللهم إلا أكواب الشاى المطعم بالنعناع والذى يبدو أننى أرتشـفه كعادة اعـتدتها أثناء الاندمــاج فى التــفكيـر ، فـفى هذه الليلة كنت مشغولة فى ترتيبات حفل خطوبة باكورة أولادى المهندسـة غادة والتى أرهقها اختيارها لشريك

حياتها فقلبها الصغير كان فى انتظار ابنى محمود للتتربع على عرشه ، وزادت سعادتى باقتناعى له أنا وأسرتى الصغيرة وسعادتى أن أسرتى الصغيرة ستكبر شيئاً فشيئاً ... وأجدنى فى زحمة الترتيبات أتوقف لحظات لأتذكر كلمات أمى رحمها الله وهى تدعو مع صلاة الفجر وتقول:

يارب يا أولادى تزدادوا ولا تنقصوا أبداً ... وكنت وقتها أضحك على هذا الدعاء واليوم أشعر بما كانت تشعر هى به وعرفت أن زواج الأبناء يزيد عددهم ، ولم أنم ليلة السابع عشر من يناير من شدة الفرحة فمن وقت لآخر أتحدث مع إحدى بناتى ... وأقبل أحمد ابنى وأطلب منه أن يعيش الفرحة ويشعر بأنه رجل لهذه الأسرة وأنه يزوج أخته الكبرى .

وفى زحمة هذه المشاعر الفياضة أجد صورة زوجي الحبيب رحمه الله أمامى وهو يبتسم فكأنه يشعر بما يحدث وما نحس به من مشاعر الفرحة .

وفجأة هبت رياح خفيفة وبدأ سقوط مطر خفيف فأمسكت قلبى بيدى داعية الله ألا تزداد الأمطار والرياح حتى يستمتع العروسان بفرحتهما ، ومع بزوغ الصباح سطعت الشمس وازداد الدفء وبدا التفاؤل لأجمل أيام يناير ٢٠٠٠ وبدأت الاستعدادات ووجدت الأهل والأصدقاء المقربين يقومون بكل ما يمكن أن يسعد ابنتى ، وصديقتها مروة تكاد تلازمها فى كل خطواتها بإخلاص شديد .

ومر الوقت بسرعة وتوافد الأحباء للمنزل فى

انتظار خروج العروسين ليزفا أمام المنزل قبل الذهاب للقاعة المخصصة للحفل .

ودقت الطبول التى أُهديت للعروسين من أعز الأصدقاء للأسرة إيذاناً بخروج العروسين الجميلين وبدا كأنهما عصفورين من الجنة تظهر عليهما ملامح الرقة ، ولم أتمالك أعصابى وخانتنى مشاعرى وذرفت دموع الحب والفرحة والشكر لله على توفيق ابنتى فى اختيارها لشريك حياتها الذى أمد أسرتى الصغيرة بدماء جديدة وفى هذه اللحظة أحسست أن أمى وزوجى رحمهما الله يشعران بالسعادة أكثر مما أشعر بها أنا وكأن روحهما ترفرفان فى المكان كله ليشع أنواراً إضافية تملأ المكان .

وبدأت زفة العروسين أمام المنزل وكانت غاية فى الروعة والرقة ، استمتع بها جميع الأهل

والأصدقاء والجيران من شرفات منازلهم وفجأة وبمجرد انتهاء الزفة اشتدت الرياح واتهمرت الأمطار من السماء ، وارتبك الجميع وعلى صراخ الأطفال ، وبسرعة اتجه الجميع إلى السيارات واتجهت فى طريقها إلى القاعة المخصصة لإقامة الحفل ، وقد أصابنى الحزن والأسى عندما تبدل الحال ودعوت الله ألا تستمر هذه العاصفة حتى لا تعكر صفو الليلة التى طالما حلمت بها أنا وابنتى فاستجاب الله إلى دعواتى وهدأت العاصفة ووصلنا القاعة لاستكمال الحفل ، ثم اتجه العروسان إلى عشهما فى سعادة وكانت مشاعر الحب تغمرنى فى تلك الليلة .... ليلة السابع عشر من يناير ٢٠٠٠ التى اعتبرتها ليلة من ليالى العمر القليلة.



«ساعات من الليل»



❑ خاصمهاالنوم ... أرق جفنيها ... أرهقـهـا السـهـاد وهى لا ترغب فى النوم والراحـة .... فحـاولت أن تكسـر حـدة التـفكيـر بفنجان القهوة الرابع لهذه الليلة واسترخت على أرض الأنتريه متثاقلة وفتحت أزرار التليفزيون لعله يحدث نفسه ويُحدث ضجيجاً يقطع به سكون الليل الطويل ، فليلها طويل طويل منذ أن فارقتها صفوة بناتها وتزوجت بالمحافظة المجاورة لها فهى أقـرب إليـهـا من ابنتـهـا الكبـرى التى تزوجت وسـافـرت للخـارج مع زوجـهـا ليـحـصل على الدكتوراه وهى بصحبته وبجواره كما علمتها أمها

أن تُعطى بسخاء كل الحب والإيثار ليكون نجاحه ثمرة وقوفها معه فتصبح أيامهما سعيدة وناجحة بكل المعانى .

لقد كرست كل حياتها لبنتيها بعد وفاة زوجها الحبيب منذ عمر طويل وحدثتها نفسها وهى تحاورها وتجيب عليها فى هذه اللحظات التى تشعر فيها بضعف شديد وانكسار بسبب الوحدة ، وقالت لها نفسها وهى ترتشف من فنجان قهوتها المضبوطة لماذا تشعرين بالضعف والإنكسار ؟ إنها سنة الحياة .

ردت بصوت مخنوق : أنا واثقة إنها سنة الحياة ولكن قالت : أكملى ما بك ... حاولى أن تتماسكى وتشغلى نفسك بمزيد من القراءة وسماع الراديو الذى تعشقين فيه البرامج الممتعة وأغانى أم كلثوم القديمة .

ردت : ويمكن أن أشغل وقتى مع صديقاتى فأنا لى صديقات كثيرات .

قالت : لكن ليست كلهن مخلصات لك .

ردت : الحديث مع واحدة أو اثنتين كل يوم يقطع على نفسى هذا الملل .

قالت : كل هذا بسبب الخروج على المعاش بعد عدة أيام إنك ستتفرغين لكل ما يخص أولادك ويخصك تنطلقين لتبادل الزيارات والمجاملات وزيارة بنتيك .

ردت : لكن فى عملى الحب والعطاء من نوع خاص سأفتقد بناتى وطابور الصباح الذى أعشق فيه تحية العلم وحديث الصباح المتجدد الذى أشارك فيه دائماً برؤيتى وأفكارى التى يعجب بها الجميع .

قالت : .... بل هى طبيعتك التى ترتبط بالأشياء وترتبط بالمكان وبذكرياته .

ردت : نعم آه .

قالتها وهى تنظر بكل تركيز لهذا الشباك الصغير الذى يُدخل لها دائماً أول شعاع شمس فى الكون وهى تعشق أن تتابع شروق الشمس وتتابع من نفس الشباك لحظات الغروب الرائع الذى ينقلها لعالم خاص بين السماء والأرض لا يشعر به غير نفسها .

وقطع رنين الهاتف عليها تلك الأفكار والخلوة وترددت قليلاً فى الرد لأول مرة وقالت :

ترى من يكون ؟ هل هو الشخص الذى يحاول جاهداً أن أستجيب لنداء قلبه وأعيش بجواره باقى أيام عمرى؟ ويقطع علىّ وحدتى بقربه رغم صدى وتمنعى خوفاً من المجهول ؟ أم ياترى المكالمة خطأ كما يحدث دائماً ؟ أم هى من إحدى بنتيها اللتين انشغلتا بحياتهما الجديدة ؟ .

وانخلع قلبها فجأة وأفاقت من أفكارها وسكون نفسها وقررت أن ترد !!

فتوقف الرنين ثم عاد فانتزعت السماعة بسرعة وهى تلهث .. ألو .. من ؟ .

وإذا بصوت زوج ابنتها فى الخارج يتهلل بالفرحة قائلاً لها : « ياماما مبروك حفيدك الذى وصل منذ دقائق وأمه بصحة جيدة والحمد لله وعليك اختيار اسمه الذى يحلو لك أن تناديه به ... » !!

وشعرت بفرحة ملكت عليها عقلها وقلبها ولملمت شتات نفسها وقررت أن تسافر لترى حفيدها وتسعد به وتطلق عليه اسم زوجها الراحل تأكيداً لحبها له والذى مازال رصيد ذكرياته معها هو البلسم الشافى لكل آلامها وأحزانها وجاء رنين الهاتف مرة أخرى فإذا بالشخص الغريب يحاول أن يتبادل معها حديث

الإقناع بزواجه .

فردت عليه أنه لا مكان لعواطف عندها بعد رحيل زوجها سوى بنتيها وأحفادها فقد استدعى الحفيد الصغير كل رصيد الذكريات الحلوة وأحيا فيها الروح من جديد ، وها هى تسافر لتقبله وتحتضنه وتعود مرة أخرى فى انتظاره لتكمل بخيالها مسيرة عطائها لبنتيها وتبدأ حباً جميلاً من جديد مع جيل جديد !!

«من يدفع لمن ؟»



❑ «صبحيه» كان هذا اسمها الذى طالما خلده اخوتها وأبناؤها فيما بعد فكل منهم عندما يرزق بمولودة انثى بسرعة تتفق الأطراف المعنيه على اختيار الاسم تخليداً للحاجه « صبحيه ».. فهذا التخليد يجعلهم يشعرون بالولاء لها ولكفاحها من أجل الجميع ...

لقد نشأت الحاجه « صبحيه » فى أسرة مكونة من سبعة أفراد بينهم ثلاث بنات غيرها والأب كان يعمل بقوة جسده كعامل بناء يوماً بيوم ويعول كل هؤلاء بالإضافة لأمه وحماته هذه الأسرة كانت

تعـيش فى منزل مـتـواضـع مكون من حـجـرتين بالإضافة لحجرة الخزين التى يوجد بها الفرن البلدى وهو المكان الذى تهوى الحاجة « صبحيه » الجلوس أمـامـه لعـمل الخـبـز السـاخـن الـذى يسـد جـوع الصغار خاصة عند تغطيته بطبقة رقيقة من السمن والسكر .

ولم تشـأ الحاجه « صبحيه » أن تكمل تعليمها فقد كانت تهوى شغل البيت . الكنس والغسيل ولطالما جلست بجوار والدتها أمام الغسيل تقلدهـا فى دعك الملابس وتتباهى بمهاراتـهـا فى غسـيل الملابس وجـعلها قمة فى النظافة ....

ومرت أيام صبا « صبحيه » داخل دائرة العمل

فى منزل أسرتها الصغير ..

وكانت تكره القراءة والكتابة وتذكر أنها رفضت الاستمرار فى المدرسة بعد وصولها الصف الرابع الابتدائى وكان والدها قد اتخذ قراره بأنها كبرى بناته وعليها أن تترك المدرسة وتكتفى بهذا القدر من التعليم .. وكانت وجهة نظره واضحه فى أن البنات ليس لهن سوى الستر والزواج . ليستريح من حملها ويكفيه إخوتها الصبية فقد وصل أحدهم لشهادة الدبلوم وهو قمة الطموح للأسرة والثانى ترك التعليم وهو فى الصف الثانى الإعدادى ليعمل بورشة حداده ويعاون والده فى المعيشة ...

وكبرت « صبحيه » وبدأت تشعر بأنوثتها وترى نفسها فى المرآه الوحيدة المكسورة عندهم والتى

عُلقت بصالة المنزل حتى يستخدمها كل أفراد الأسرة ..

وبدأت تخرج لزيارة بعض صديقات الدراسة القديمة وجاراتها وكلما سارت فى حارتهم المتواضعه فى خيلاء برغم تواضع ملابسها وبساطتها إلا أنها كانت تسمع كلمات الغزل الجميل من البائعين وأصحاب الدكاكين فى الحى ....

وكم تمنت أن يرزقها الله بابن حلال موظف ويعمل بالحكومة وله مرتب حتى تكون قد أخذت حظاً كبيراً فى زواجها إلا أن أفضل خطابها كان « محمداً » هذا الشاب الطموح الذى يعمل فى المقاولات ويرأس عدداً من العمال فى عمله ويحصل على دخل يؤهله لفتح بيت وكان من كبرى العائلات فى البلدة ولكن لا يملك دخلاً إضافياً هو أو أسرته وكان

عمله يعتمد على صحته فهو يعمل ويعمل وإذا مرض يكف عن العمل وينقطع رزقه فأسرته من الفرع الفقير لتلك العائلة الكبيرة .. وفى كل مرة تخرج فيها « صبحيه » لتشترى متطلبات الأسره من السوق ويصادفها « محمد » يسمعها الكلام المعسول وكأنها ملكة متوجة ....

أُعجبت « صبحيه » به وبادلته الحديث واتفقا على الزواج بعد أن أقنعها بأنه سيحسن من ظروفه كلما عمل أكثر وأكثر وسوف يحقق لها ولأبنائه فى المستقبل ما حُرم هو منه ... فطلبت منه التقدم لوالدها وسيجد منه التشجيع ....

وذهبت « صبحيه » للمنزل وهى فى قمة نشوتها وكم تمنت أن تزف إليه الآن لهذه الحياة الواعدة بالحب الكبير والأمل المنتظر ..

وفى يوم قال لها والدها :

أنت الآن عروسة حلوه تُطلب للزواج .!

ردت عليه : ماذا تقصد بهذا الكلام يا أبى ؟

قـــــال : اليـوم جـاءنـى « مـحـمـد » الذى يعـمل فـى المقاولات فى آخر شارعنا وطلب منى تحديد موعد لزيارتنا هو وأسرته ليطلبوا يديك !!

فـما رأيـك ؟

نظرت إلى والدها ووجـهـهـا يحـمـر خـجـلاً ولم ترد ودخلت بسرعة للحجرة وجلست القرفصاء تفكر .

ردت والدتها بدلاً منها قائلة : « الزواج ستر للبنات ومحمدابن حلال ».

فقال والدها : على بركة الله سأرسل لهم ليحضروا غداً للاتفاق على كل شئ .

وفى الموعد المحدد جـاء العريس وأهله وانطلقت الزغـاريد فى منـزل والـد « صـبـحيه » .... وكـانـت « صـبـحيه » فى أبهى

صورها فقد اهتمت بمظهرها كما نصحتها أمها قبل حضورهم بساعات ، فارتدت فستاناً أخضر كانت تخصصه لحضور أفراح الأقارب والجيران .. ثم مشطت شعرها وتفننت فى عمل الضفائر السميكة التى يصل طولها لمنتصف ظهرها بينما أطلقت سراح بعض الشعيرات على جبينها بعد قصها بالمقص لتصبح حارسة على جمال وجهها .

أما والدتها فقد اهتمت بتنظيف المنزل المتواضع ثم توجهت للمطبخ وأطمأنت على ما أعدته من أطباق المهلبية المغطاه بالزبيب - زيادة فى كرم الضيافة وأحضرت زجاجة شربات الورد الأحمر ولم تنس قطع الثلج الذى اشتراها لها ابنها الأكبر لتضعها فى الشربات ليصبح مثلجاً ويليق بالمناسبة وبالعريس وأهله ...

وقابلتهم أم صبحيه وأبوها وأجلستهم فى صالة المنزل على الأريكة التى تم تنظيفها منذ الصباح الباكر وأصبح المكان هادئاً منظماً رغم قلة الفرش فيه ....

وتبادل العريس أطراف الحديث مع والد العروس قائلاً :

كيف حالك ياعم محمد ؟

رد عليه : الحمد لله يا ابنى .. آنست وشرفت .

قالت أم العريس لأم العروسة :

أين عروستنا الجميلة ؟ لماذالم تأت لتسلم علينا ؟

قالت أمها: ستأتى بعد قليل ومعها الشربات :

وجاءت « صبحيه » تحمل صنية الشربات الأحمر وقد زاد الكحل من خجل عيونها الواسعه وبدت الضفائر على صدرها كشاهدى عيان على جمالها وأنوثتها .. أما شفتاها فلم تكن بحاجة لهذا اللون الخفيف الذى وضعته باستعمال قلم الألوان الخشبى الذى يملكه أخوها الصغير ضمن أدوات الرسم المدرسية .

فكم تمنت أن يكون لديها قلم أحمر شفاه تستعمله حينما تشاء ... ولكن ما باليد حيله ..

قالت لها أمها : ضـعى الصينـية يا صبحـيه واجلـسى بجوار حماتك .

قالت لها حماتها : كيف حالك يا صبحيه ؟

ردت : الحمد لله يا خالتى .

قالت : ترى هل طعامك حلو مثلك ؟

ردت : نعم يا خاله أنا ماهرة فى إعداد الطعام .

وتسلل محمد النظر لصبحيه وهى تتحدث وكادت عيونهما تتعانق لولا عيون والدها ووالدتها التى تراقبهما بشدة حتى لايقع منها أى خطأ ....

استجمع أبو محمد الكلام المفيد ثم تنحنح بصوت عالٍ كبداية للحديث وقال .... يا أبو صبحيه يشرفنا طلب يد ابنتك لابنى محمد ..... فما رأيكم ؟

وبسرعه نظر أبو صبحيه لها ولأمها بمعنى أن ينصرفا حياءً وأدباً لكلام الرجال فقط ... فذهبتا بسرعه للداخل ثم دار هذا الحوار بين أبى محمد وأبى صبحيه :

قال أبو محمد : ما رأيك يا حاج فى هذا الطلب ؟

رد عليـــه : والله لا يوجد أى مانع عندنا لكن أنت تعرف

الأصول ولابد من أخذ رأى البنت ... بعد إذنك دقيقة واحدة ..
ثم ذهب للداخل وتوجه لصبحيه وهى لم تعد تستطيع إخفاء فرحتها ونظرت لأبيها بخجل فقال لها : يا ابنتى مارأيك لآخر مرة إنه عريس مقتدر وأنا موافق عليه .
وردت عليه أمها : إنها موافقه والسكوت علامة الرضا وأنت سألتها قبل ذلك .
قال : هذا آخر كلام ولم يغيره شئ إلا الموت . وبسرعة أطلقت أم صبحيه زغرودة عالية معناها الموافقة التى سمعها الجيران ثم توجه أبوها لمكان الضيوف معلناً الموافقة بعد أن سمعوا الزغاريد من أم العروسة .

ثم جلس بجوار والد العريس وسأله بهدوء ومتى إن شاء الله سنتم الموضوع وما الطلبات التى تخصنا والتى تخصكم بمعنى ما هى إمكانيات العريس ؟
رد أبو محمد : سنشترى لها شبكة من الذهب وحجرتين واحدة

للنوم وواحدة للضيوف وأنتم عليكم باقى الجهاز وعقد القران الأسبوع القادم فما رأيك يا حاج ؟

قال له : على بركة الله ومن الآن هى ابنتكم وفى خدمة حماها وحماتها وأنا ليس لى بنات من اليوم ...

ردعليه : على بركة الله وقرأ الجميع الفاتحه وانصرف الضيوف ثم جلس أبو صبحيه حزيناً لا ينطق وتقدمت منه زوجته قائلة : لماذا تبدو عليك علامات الحزن فى هذا اليوم السعيد ؟

رد عليها : أنا مهموم بسبب الجهاز ... فكيف أدبر الأموال اللازمة للبنت .

قالت : ياسيدى اترك الهم والحزن فأنا مدخره بعض النقود وكنت أشترى بعض احتياجات البنات بالتقسيط وسوف أشترك فى جمعيه مع أهل الحاره وسوف أبيع حلقى الذهب وسندبر حالنا بإذن الله فلا تقلق يا حاج واخرج لتبشر أهل الحى وأنت فرحان .

وعقبال اخواتها يارب ... ومر شهر تقريباً تم إعداد كل شىء

وانتقلت صبحيه لمنزل محمد زوجها الذى لم يمكث معها وهى عروسة سوى ثلاثة أيام وخرج بعدها للعمل .

وكانت صبحيه سعيدة لأنها أصبحت تملك حجرتين ومطبخا به كل الأدوات وكانت طموحاتها قليلة ومحدودة لدرجة أن محمداً دائماً كان يطلب منها أن تشجعه على الادخار حتى يدبر مبلغاً من المال يساعده فى أوقات الشدة و لطالما طلب منها أن تشجعه على السفر لإحدى الدول العربية مع العمال لشهور قليلة يدخر فيها أكثر مما يكسب الآن حتى يتمكن من تأمين مستقبل أولاده كما وعدها مراراً قبل الزواج إلا أنها من شدة حبها له كانت تبكى وتطلب منه العمل هنا وتقول له :

رب هنا هو رب هناك والرزق مكتوب .. فيستسلم لمشاعرها ويتوكل على الله ويعمل ويعمل.. بعد شهور ظهرت أعراض الحمل على صبحيه وغمرت الفرحة قلوب الأسرتين وكانت صبحيه تستغل هذه الفرحة لتزيد من دلالها على محمد زوجها

وتسعد كثيراً وهو يربت على كتفها بكل حب الدنيا كل صباح ويقول يا حبيبتى يا أم الملك استيقظى كى تأكلى وتغذى الملك الصغير معك فتضحك فى دلال وترد عليه :

هو أصبح ملكاً :

يقول مداعباً : أمه ملكة فى نظرى وأنا سأعمل وأعمل لأوفر كل احتياجتك واحتياجاته بإذن الله .... وتبتسم صبحيه فى حياء عندما يقبل محمد جبينها بعد هذا الكلام الجميل كل صباح ... وتنهض صبحيه وهى تتمتم بكلمات الشكر والدعاء لله بأن يتم لها حملها . بدأت صبحية تشعر بأنها نضجت وأصبحت مسئولة عن أسرة وزوج تتفانى فى خدمته وإرضائه ...

وفى الصباح تستمع صبحية للبرامج أثناء تنظيفها وترتيبها لبيتها الصغير وإعدادها الطعام حتى وقد حفظت عن ظهر قلب مواعيد البرامج الإذاعية خاصة ربات البيوت فقد كانت تترك كل ما تقوم به عند سماعها النصائح التى ترشد ربات البيوت

وتشجعهن على العناية بأنفسهن وبأزواجهن حتى لا يهرب الزوج من زوجته وهى لا تعرف الأسباب ..... وكانت تتمنى أن تنفذ كل النصائح لكن قلة الدخل وزيادة مصاريف الحمل تجعلها عاجزة عن التنفيذ وكان ذلك يسبب لها قلقاً شديداً وخوفاً من الغد الذى سيكون فيه أولاد واحتياجات أكبر وكانت دائماً تحاول الادخار من كل شئ حتى نصف كيلو اللحم الذى كانت تطهيه ليكفيهما يومين هى وزوجها طلبت من زوجها مراراً أن يكتفى بربع كيلو فقط إلا أنه كان يرفض فهى حامل وتحتاج للغذاء الكامل وهو يعمل بمجهوده العضلى الذي يحتاج للقوة .. وبعد الظهر كانت صبحية تجلس فى انتظار زوجها ولا تغادر منزلها لزيارة أهلها إلا بإذنه أو لسبب قوى ... ومرت عليهما الأيام متشابهة تقريباً وكل يوم يزداد الحلم الجميل بقدوم المولود السعيد .... حتى بدأت آلام وضعها وحضرت أمها مع الداية التى أعلنت حالة الطوارئ بالمنزل .

وترك محمد عمله فى هذا اليوم ليكون بجوار زوجته التى ظلت تلح عليه أن يذهب لرزقه رغم إعيائها ولكنه رفض ذلك تماماً وأصر على انتظار مولوده بنفسه وأن يكون فى استقباله لحظة خروجه لهذه الدنيا .... وظل يتمتم بالدعاء والذكر والصلاة أن يرزقه الله بالولد الذى يحتاجه لمساعدته فى حياته وليكون بعد ذلك سنداً لأبويه باراً بهما..... ولم يمض وقت طويل إلا وقد انطلقت الزغاريد تبشر بقدوم مولود ذكر أسماهُ والده « فتحى » وسعد الجميع به وملأ الدنيا ضجيجاً وكان فاتحة خير على والده فقد زاد دخله إلى حد معقول وأنجبت صبحية ولداً آخر اسمه « عمر » وبنتا كانت آخر العنقود أسمها « سامية » تلك الصغيرة المدللة أتت مع زيادة أعباء الأسرة الصغيرة والتى بدأ الفقر يخيم على حياتهم نتيجة التوعكات التى بدأت تنتاب رب الأسرة من وقت لآخر فلجأ إلى المستشفيات

المجانية ليقلل من النفقات وإذا به يفاجئ بأنه الكبد الذى يحتاج لمجهود أقل ونظام غذائى خاص حتى يتعايش معه دون مضاعفات كبيرة وقد كانت صدمة كبيرة له وقرر أن يظل يعمل ويعمل ليربى أولاده حتى آخر نفس في حياته ... فكيف له أن يستريح وقد زاد عدد أفراد أسرته وزادت مصاريفهم خاصةً وأنهم التحقوا بالمدارس ويحتاجون لمصاريف ... وصبحية التى كانت تشع جمالاً وحيوية أصبحت أقل جاذبية فى كل شئ حتى نظرتها أصبحت مكسورة وحزينة والقلق يفترسها على أولادها وزوجها وبدأ شعرها من الحزن يتساقط ويخف وشحب لونها من سوء التغذية فهى دائماً تفضل أولادها وزوجها على نفسها ... وقررت أن تتعلم الخياطة وبالفعل لم يأخذ ذلك منها وقتاً طويلاً لرغبتها الشديدة وإصرارها . واستعانت بماكينة الخياطة التى تخص أمها علي سبيل السلف لتعمل عليها ملابس لأولاد وبنات الحى ومرايل المدارس كمحاولة منها لستر الأسرة حيث إن

محمداً بدأ المرض يشتد عليه من شدة الإرهاق فى العمل ، فرقد طريح الفراش ومنعه الأطباء من العمل والمجهود الزائد وفى يوم قال لزوجته : اسمعى يا « صبحية » ما رأيك فى أن أعمل كبائع جرائد فهذا العمل يجعلنى أجلس طوال اليوم بدون مجهود ويتيح لى فرصة المساهمة بمكسبى إلى جانب مكسبك من الخياطة فى نفقات الأولاد . رفضت صبحية هذا الاقتراح وطلبت منه الراحة كى يتم شفاؤه أما هى فستعمل بكل جهدها وسوف يرزقها الله برزقهم ولم تظهر له تعبها وكانت تبكى وتبكى ولكن دون أن يراها زوجها وأولادها إلا أنها دائماً كانت تفاجأ بفتحى ابنها يقف وراءها ويربت على كتفها ويقبل رأسها محاولةً منه للتخفيف عنها ويقول لها قولى يا رب وهو لن ينسانا أبداً .

فكانت تزداد فى البكاء وتحتضنه فهو يقول الكلام الذى لايصدر إلا من إنسان كبير مجرب أما هو فهذا الكلام أكبر من سنه بكثير .

وفى إحدى مرات حوارها مع ابنها فتحى فاجأها بقوله لها : يا أمى أنا الآن لست صغيراً وفى الصف الثالث الإعدادى ويمكننى الامتحان من المنازل بدون الذهاب للمدرسة ولقد اتفقت مع عم سعيد صاحب ورشة النجارة التى فى الشارع المجاور لنا وسوف أعمل عنده وسيعطينى أجراً مناسباً يساعد على المصاريف لكى أساعدك فصحتكِ يا أمى لا تتحمل كل هذا المجهود ردت عليه أمه وهى تبكى : لا يا ابنى انتبه لمذاكرتك وربنا كبير واحتضنته فبادرها : يا أمى غداً سأذهب للعمل وقولى يا رب وطمأنها أن يوم الجمعة إجازة من العمل وسيكون اليوم كله للمذاكرة وسأذاكر فى أوقات الفراغ

فى الورشة ولو ساعة واحدة أثناء النهار .. والباقى فى الليل . واستمر فتحى يخرج كل صباح للورشة بملابس العمل بعد أن يتناول كوب الشاى مع والدته وأخوته وبعض لقيمات من الفول وكان يتعمد أن ينهض ويفرغ من الطعام قبل إخوته ويتظاهر بالشبع الشديد ليترك لهم باقى الأكل وكثيراً ما أثنت أمه عليه لأبيه قائله له إن الحنان الذى بداخل قلب ابنك فتحى يفوق حنان أب عائل قوى يعول أسره كبيرة فتدمع عينا الأب ويظل يدعو له بالستر وطول العمر . ونهض فتحى يوماً من نومه على حوار والده المريض مع والدته التى أنهكها القلق والحزن وسمعها ترد عليه قائلة : لا يا محمد هذه وعكة شديدة لكن ستمر إن شاء الله .

قال لها :لا يا صبحية إنه مرض شديد آخره فراق

إننى أشعر بتمزق فى أمعائى وضيق فى التنفس وقد طلب مني الدكتور عمل إشاعات وتحاليل مرة أخرى فى المستشفى الحكومى ...

وتسمر فتحى وأجحظت عيناه وامتلأت بالدموع التى انهمرت رغماً عنه كالمطر وهو ينفطر فى سره ويقول يا حبيبى يا أبى كل هذا تشعر به وأمى تتحمل معك ولا تظهر لأخوتى الصغار فهم لا يدركون شيئاً ويلعبون مع أصحابهم ويطلبون زيادة مصروفهم ، ثم صلى ركعتين ونادى على أمه بصوت يحاول أن يكون طبيعياً ليودعها قبل ذهابه للعمل ويقبل يدها ويسألها إن كان والده يحتاج شيئاً ولم يركز على وجه أمه واندفع مهرولاً للشارع ... وقرر من ذلك اليوم أن يعمل طوال الوقت حتى يزيد أجره من صاحب الورشه وتمر الأيام والشهور والحال على ما هو عليه

ما عدا تدهور صحة والده الذى اقترب أجله ودنا ولم يبق له إلا أنفاس فى أيام معدودة .... حتى كان يوم نتيجة الشهادة الإعدادية وانطلقت فى حارتهم زغاريد النجاح وتجمع الاهالى ليهنئوا فتحى وأبيه وأمه بخبر تفوقه على كل زملائه وحصوله على ترتيب الأول ولم يتحمل أبو فتحى الفرحه وظل يبكى ويبكى وابنه يقبل يديه وقدميه ويدعو له بالشفاء إلا أن القدر شاء أن تكون وفاته فى نفس الليلة وقبل صلاة الفجر بدقائق معدودة وقبل بزوغ الشمس انطلقت أصوات صراخ وعويل من صبحية وابنتها سامية.

وتجمع الجيران الذين تجمعوا ليهنئوا فتحى بتفوقه من ساعات معدودة ... وكان التكافل الاجتماعى بين أولاد الحى كله يوحى بخير الدنيا أمام صبحية ويساعدها على محاولة التحمل والصبر .

فقد جمع الجيران مبلغاً من المال وأعطوه لها لتواجه به ظروف الوفاه فقبلته بعد إلحاح منهم وبعد أن قالوا لها اعتبريه ديناً عليك تردينه عندما يفرجها الله عليك وعلى ولدك واكتفى الكل بأداء العزاء على المقابر وانصرفوا كل إلى حال سبيله .... ومنذ ذلك اليوم وفتحى تبدو عليه الهموم والأحزان وكأن عمره تضاعف فكانت ملامح وجهه تبدو كأنه أكبر من سنه وكلماته أصبحت معدوده وحكيمه وعلى النقيض كان أخوه عمر طماعاً ولا يفكر سوى فى نفسه وكان كل همه أن يأخذ دائماً مصروفه بانتظام من فتحى فلا يشعر بما تشعر به أسرته فيراه فتحى يلعب مع أصدقائه وينفق معهم نقوداً كأنها أتت بغير هذه المشقه التى يعانيها أخوه ووالدته حتى أنه رآه مراراً وهو يدخن السجائر ...

وحاول فتحى نصحه موضحاً له ظروف الأسرة ليحاول أن يعدل من نفسه ولكنه كان وقحاً دائماً وردوده استفزازيه حتى لقد تطاول على أخيه فتحى ذات مره وهم بأن يمسك به لولا تدخل الأم وصراخها أمامهما وظلت تبكى حتى خرج عمر غاضباً ومهدداً لهم ومتوعداً وكان رأيه دائماً أن أخاه فتحى عليه أن يتحمل مسئوليتهم كأبيهم فقد اختار لنفسه هذا الوضع من البداية ويكفيه أن الناس يقولون عنه أنه مكافح ويربى أخواته .... هكذا كان تقديره السئ للأمور ....

وفى يوم قال عمر لفتحى : كفاية عليك شهادة الإعدادية ولا داعى لإكمال تعليمك .

ورد عليه فتحى : أنا لا أذهب إلى المدرسة وأتقدم للامتحان من المنازل لأننى أعمل ليلاً ونهاراً من أجلك

أنت وأخـواتك يـرد عليـه عـمـر بكبـريـاء : سـيـبك من الفلسـفـة الكدابة .... يتـجاهل عمـر كلام فتحى ويطلب منه شراء ملابس جديدة له .

وعبثاً تضيع محاولات فتحى والأم صبحية فى تغيير سلوك وتفكير عمر وأسلوبه مع أخيه فتحى فقد أوشكت أن تفقد هى الأخرى كل صحتها من شدة التوتر والبكاء ولم يبق لها سوى بقايا من جمال قديم وبدأت سامية فى النضج وبدت عليها علامات الأنوثه فى الوقت الذى أجادت فيه مهنة الخياطة بعد خروجها من التعليم اللهم إلا الابتدائية وتدعو لها صبحية ليل نهار أن يرزقها بابن الحلال الذى ينتزعها من هذا الفقر وهذا العبء الثقيل عليها ليخف بعض الشئ .... وبعد عدة أعوام كان فتحى قد حصل على الثانوية العامة وبمجموع كبير إلا أنه لظروفه القاسية

ابتعد عن كليات القمة وفضل الانتساب لكلية الحقوق فهى خير ما يتناسب مع عمله الدائم ليل نهار وفى نفس يوم التحاقه بالكلية صحا من نومه ينادى على والدته :

يا أم فتحى أين أنتِ ؟

ترد : نعم يا فتحى وتظن أنه سيذهب إلى الكلية فتدعو له بالتوفيق والنجاح

فيقول لها : لا لن أذهب إلى الكلية اليوم سوف أذهب في يوم آخر لأنقل جدولى ، أما اليوم سأذهب إلى قبر أبى لأزوره وأقرأ له الفاتحة .....

وتأخذه أمه فى حضنها وتقبله ويقبلها فى مشهد حنان وعطاء غير عادى وكأنهما يسموان فوق العالم بهذا التكامل .. وأثناء ذلك يقف أمامهما عمر وهو نصف نائم .

ويقول فى سخرية كفاية حب مع ابنك فتحى وجهزى لى الإفطار وبعد انصراف فتحى من المنزل جلس عمر وتناول إفطاره وأخبر أمه أنه سيعمل من اليوم فى مكتبة عم سعيد صديق والده ثم قال لكن لو عاملنى معامله سيئه سأترك العمل ....

وتبادره الأم قائلة : مبروك يا عمر وربنا يوفقك فى هذا العمل لتكسب منه وتساعدنا فيرد بسرعة : لا إن هذا العمل لأدخر منه وأخطب الفتاة التى أريدها ولابد أن يساعدنى فتحى ولم تنطق الأم بكلمة واحدة بل اكتفت بجحوظ عينيها أمامه فالذهول منعها من التعليق على كلامه وانتهى عمر من تناول إفطاره وخرج إلى عمله الجديد ..

ومرت الشهور على هذا الحال وعمر لا يعطى مليماً واحداً من عمله الذى تفرغ له بعد أن ترك

التعليم فى المدرسة الصناعية فقد فصل منها أكثر من مره لسوء سلوكه وفى هذه الأثناء تقدم لسامية شقيقته بعض الخطاب اختارت لها أمها أحسنهم مادياً حتى يستطيع أن يفى بالمطلوب ويجهز منزله دون أن ترهق نفسها معه وأقنعهم أنه قادر على كل تكاليف الجهاز وحتى ما لا يخص العروسة من ملابس وأشياء شخصية سيحضرها لها أيضاً .... فكان بالنسبه لهم عريس فرصه لا تعوض ...

وفرحت سامية إلا أن بعد فرحتها به وبما سيفعله لها كانت المفاجأة أنه متزوج من زوجتين قبلها إحداهن مطلقة والأخرى مازالت فى عصمته ومعها ولدين ولكنه وعدهم بأنه سيعدل بينهما ...

اعترض فتحى ورفض هذا الزواج لكن أمه وافقت وأصرت على إتمامه ظناً منها أنها ستريح

ابنتها وتطمئن عليها وعلى مصيرها فقد كانت تخشى أن تتركها مع أخيها عمر الذى لا يطمئن إليه قلبها فهو يعامل سامية بطريقة سيئة وكأنها جارية لديه وليست أخته بخلاف فتحى الذى يحاول إسعادها .

وبعد زواج سامية وقف عمر يلقى بأوامره لأخيه فتحى ليخطب له بنت الجيران التى يحبها منذ عدة أعوام ويتكفل بكل ما يعجز هو عنه وظل عمر على هذا الحال لأيام عديده جعلت حياة الأسرة فى توتر مستمر وطالما ترجته أمه أن يصبر حتى تسطيع هى أن تعالج عينيها التى أصبحت لا ترى بهما جيداً من شدة الإجهاد والبكاء فقد حذرها الطبيب من ذلك فارتفاع ضغط العين بتلك الطريقة نذير سيئ لجراحات وعلاج طويل ومستمر وباءت كل محاولاتها لتأجيل موضوع

الخطبه بالفشل ...

ولم يجد فتحى أمامه سوى الرضوخ خوفاً على والدته ومن الفضائح التى قد يسببها هذا الابن العاق .. وبالفعل تمت الخطوبه والزواج فى فترة قصيرة تكفل فيها فتحى بكل الإمكانيات التى احتاجها أهل العروس لدرجة أنه تداين من زملائه فى عمله بالورشة ووعدهم بأنه بعد الليسانس سوف يعمل بوظيفة كبيرة فتفوقه سوف يؤهله لحصوله على عمل مشرف بمرتب مجزى ...

وأعلنت نتيجة الليسانس وحقق فتحى ما قدر له وتم تعينه بالنيابة وفرحت به والدته التى أقعدها الحزن معظم الوقت لا تستطيع أن تقضى حاجاتها بنفسها ..... وأصر فتحى على أن يظل هو الذى يخدمها ويهتم بها ويشئونها بعد انتهائه من عمله وأعفى أخته سامية من ذلك إشفاقاً عليها من حملها المتكرر

الذى يحتاج لمن يعاونها فيه وحتى لا يتضرر زوجها من ذلك.

وفى أحد الأيام سمعت صبحيه طرقاً على الباب بعد انصراف فتحى لعمله وذهبت بخطواتها البطيئه لتفتح للطارق فإذا به ابنها عمر الذى لم يسأل عنها طوال عامين ماضيين سوى مرة أو مرتين وكان معه زوجته وطفلاه ودخلوا الشقة وكان فى حالة إعياء شديد وركع تحت قدم والدته يطلب منها السماح والمغفرة لأنه أساء لها ولأسرته ولأخيه فتحى كثيراً وهو الآن ضعيف يطلب معاونته وجلس عمر وجلست والدته وهى تحاول أن تفهم ما يدور وزوجته فى حالة بكاء مستمر لا تقوى على الكلام ...

قالت له أمه : ماذا بك يا عمر؟ تكلم

قال : ياأمى أنا أدمنت حقن الماكستوم فورت

وقد قتلت أحد زملائى لأنه سبنى أمام الجميع فطعنته بسكين وألقيت به وسط المزارع لكن البوليس سيصل إلى القاتل وسوف يقبض علىّ .

وشهقت صبحية شهقة عالية وهى مذعورة وقالت : لماذا ارتكبت هذه الجريمة لقد حطمت نفسك وأسرتك ولم ينته الكلام حتى طرق الباب :

وبسرعه طلبت منه أن يدخل فى الحجرة ويهدأ قليلاً حتى ترى من الطارق فإذا به فتحى ومعه قوة من الشرطة حضروا للقبض على عمر ....

وأقنع فتحى أخاه عمر أن يسلم نفسه ولا يحاول الهرب ووعده بأنه سوف يترك النيابة ويعمل بالمحاماه ليساعده ويقف بجواره رغم كل ما ارتكبه فى حقهم واستسلم عمر وهو يبكى لأول مرة فى حياته ويقبل حذاء أخيه ليعفو عنه لما ارتكبه فى حقه فيما مضى ...

فقال له فتحى : أنت أخى دمى ولحمى لكنك قضيت على

كل شئ جميل فى حياتك وحياتى وتعانق الاثنان يبكيان بشدة قبل ترحيل عمر للسجن وأصر فتحى على أن يصاحب أخاه ليسمع منه التفاصيل وعمر يبكى ويقول لقد سببت لك العار أتركنى ولا تقل أنك أخى فنهره فتحى وطلب منه الهدوء حتى يستطيعا التحدث معاً بهدوء وفهم منه الموقف ...

ومر يوم ويومان والتحقيق مستمر حتى كانت المفاجأة الكبرى أن استقالة فتحى لم تقبل فهو إنسان مهذب وله سلوك مشهود له من الجميع وكانت المفاجأة الأخرى أن عمر بعد أن طعن زميله وألقى به فى بركة دماء بعيداً كان يظنه قد مات تماما، إلا أنه ولمشيئة القدر تم إنقاذه وإجراء جراحه له ويبدو أن زميله قد أراد هو الآخر أن يكفر عن أفعاله الخاطئة وسلوكه السيئ لتحسين صورة فتحى أمام زملائه

فنفى التهمة عن عمر وتمت محاكمة عمر بتهمة التعاطى فقط وبعدها خرج من السجن شخصاً آخر تماماً يحاول إرضاء أسرته ويعمل ليل نهار ليعوض أمه ويربى طفليه تربية صالحة وكثيراً ما كان يداعبهما ويقول لهما :

. أريدكما مثل فتحى ويطلب منهما أن يعتبراه مثلهما الأعلى فى الحياة ...



الفهرست

